العرب
الإثنين 2021/10/25
السنة 44 العدد 12220

تركيا وإيران تكتشفان صعوبة القوة الناعمة

تمرد الميليشيات يعرقل مساعي طهران وأنقرة لإثبات نفوذهما

عملت طهران وأنقرة خلال العقود القليلة الماضية على توسيع نفوذهما عبر الميليشيات والجماعات الدينية المزروعة في العديد من الدول وخاصة العربية منها كالعراق ولبنان، وهما تتصارعان حول بسط السيطرة على أكبر مساحة ممكنة كقوة دينية ناعمة تقود العالم الإسلامي، لكنّ الحسابات الجيوسياسية تتغير من حين إلى آخر وقد ينقلب السحر على الساحر.

خسارة العامري أم هزيمة الحرس الثوري الإيراني

واشنطن - تكتسب أذرع إيران وأنقرة عاما تلو الآخر قوة ونفوذا يجعلانها تتمرد في أحيان كثيرة، وترسم لنفسها توجهات تتعارض مع الاستراتيجيات المحددة لها، فتحدث للبلدين متاعب ونكسات غير متوقعة تضاف إلى أزماتهما المحليّة في عالم مليء بالمفاجآت الاقتصادية والسياسية.

ويقول المحلل السياسي والخبير في قضايا الشرق الأوسط جيمس دورسي إنه من المرجح أن يفكّر القادة الإيرانيون في أن الوقت يتغيّر فيما يتعلّق بخطواتهم التالية في العراق وكردستان العراق ولبنان وأذربيجان.

وينطبق نفس الشيء على الرئيس التركي رجب طيب أردوغان الذي برز كمدافع شرس عن القضايا الإسلامية ما لم يكن لذلك ثمن اقتصادي كما هو الحال مع القمع الوحشي الذي تسلّطه الصين على المسلمين الأتراك. لكن صورته تشوهت بسبب مزاعم التراخي في مكافحة غسيل الأموال وسوء الإدارة الاقتصادية.

جيمس دورسي

تركيا وإيران لا تتحملان النكسات المتولدة من غطرستهما

وتأتي الانتكاسات في وقت تتراجع فيه شعبية أردوغان في استطلاعات الرأي. وقد أمر خلال الأيام الماضية بطرد سفراء الولايات المتحدة وكندا وفرنسا وفنلندا والدنمارك وألمانيا وهولندا ونيوزيلندا والنرويج والسويد لدعوتهم إلى إطلاق سراح الناشط الخيري والحقوقي عثمان كافالا تماشيا مع قرار المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان.

توقيت حرج

يرى دورسي أن تركيا وإيران لا تستطيعان تحمل النكسات التي غالبا ما تكون نتيجة الغطرسة. فلكليهما أهداف جيوسياسية ودبلوماسية واقتصادية أكبر، وهما تتنافسان مع المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة ونهضة العلماء الإندونيسية على القوة الناعمة الدينية، إن لم يكن قيادة العالم الإسلامي.

وتكتسب هذه المنافسة أهمية إضافية في عالم يسعى فيه خصوم الشرق الأوسط إلى إدارة خلافاتهم بدلا من حلها من خلال التركيز على الاقتصاد والتجارة والمعارك الناعمة، بدلا من معارك القوة الصلبة والوكالة.

وفي إحدى الحوادث التي وقعت مؤخرا عارض هدايت نور وحيد نائب رئيس البرلمان الإندونيسي أن يُطلق على شارع في جاكرتا اسم مصطفى كمال أتاتورك، الجنرال الذي تحول إلى رجل دولة واقتطع تركيا الحديثة من أنقاض الإمبراطورية العثمانية. واقترح وحيد أن من الأنسب إحياء ذكرى السلاطين العثمانيين محمد الفاتح أو سليمان القانوني أو العالم الإسلامي من القرن الرابع عشر والصوفي والشاعر جلال الدين الرومي.

وينتمي وحيد إلى حزب العدالة والرفاهية المرتبط بالإخوان المسلمين وعضو مجلس إدارة رابطة العالم الإسلامي التي تديرها السعودية، وهي أحد المروجين الرئيسيين للقوة الدينية الناعمة في المملكة.

والأهم من ذلك أن نزاهة تركيا كدولة تكافح بقوة تمويل العنف السياسي وغسيل الأموال أصبحت موضع تساؤل لدى مجموعة العمل المالي (فاتف)، وهي هيئة رقابية دولية، وتواجه قضية محكمة محتملة في الولايات المتحدة يمكن أن تزيد من تشويه صورة أردوغان. كما قضت محكمة استئناف أميركية الجمعة بجواز محاكمة بنك خلق التركي الذي تملكه الدولة بتهمة مساعدة إيران في التهرب من العقوبات الأميركية.

واتهم ممثلو الادعاء بنك خلق بتحويل عائدات النفط إلى ذهب ثم إلى نقد لصالح إيران وتوثيق شحنات غذائية مزيفة لتبرير تحويل عائدات النفط. كما قالوا إن البنك ساعد إيران سرا في تحويل 20 مليار دولار من الأموال المقيدة، مع غسيل ما لا يقل عن مليار دولار من خلال النظام المالي الأميركي.

وزعم بنك خلق بأنه غير مذنب وجادل بأنه محصن من الملاحقة القضائية بموجب قانون حصانات السيادة الأجنبية الفيدرالي لأنه تابع لتركيا التي تتمتع بحصانة بموجب هذا القانون. وأدت القضية إلى تعقيد العلاقات الأميركية – التركية، حيث دعم أردوغان براءة بنك خلق في مذكرة عام 2018 إلى الرئيس الأميركي آنذاك دونالد ترامب.

وضعت مجموعة العمل المالي تركيا على قائمتها الرمادية الأسبوع الماضي مع دول مثل باكستان وسوريا وجنوب السودان واليمن التي فشلت في الامتثال لمعايير المجموعة. وحذر صندوق النقد الدولي في وقت سابق من هذا العام من أن القائمة الرمادية ستؤثر على قدرة الدولة على الاقتراض من الأسواق الدولية، وستكلفها ما يعادل 3 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي، فضلا عن انخفاض الاستثمار الأجنبي المباشر.

وكانت إدارة أردوغان للاقتصاد متوترة مع طرد ثلاثة من صانعي السياسة في البنك المركزي مؤخرا، وخفض سعر الفائدة بشكل أكبر من المتوقع أدّى إلى انخفاض الليرة التركية، وارتفاع الأسعار، ومعدل التضخم السنوي الذي وصل الشهر الماضي إلى حوالي 20 في المئة. ولطالما اتهم أردوغان أسعار الفائدة بالتسبب في التضخم.

وخلص استطلاع للرأي العام في مايو إلى أن 56.9 في المئة من المشاركين لن يصوتوا لصالح أردوغان وأن الرئيس سيخسر في جولة الإعادة ضد اثنين من منافسيه، عمدة أنقرة منصور يافاش ونظيره في إسطنبول أكرم إمام أوغلو.

ميليشيات متمردة

في حالة إيران يقول جيمس دورسي إن مجموعة من العوامل تعمل على تغيير ديناميكيات علاقاتها مع بعض الميليشيات العربية المتحالفة معها، الأمر الذي يدعو إلى التشكيك في التمركز المحلي لبعض تلك الميليشيات، ويؤجج القلق في طهران من أن منتقديها يحاصرونها، ويؤثر ذلك على الطريقة التي تود إيران إبراز نفسها بها.

وخلص تقرير نُشر مؤخرا عن مركز مكافحة الإرهاب في أكاديمية ويست بوينت العسكرية الأميركية إلى أن الحرس الثوري الإيراني يواجه "صعوبات متزايدة في السيطرة على الخلايا المسلحة المحلية. وتكافح الميليشيات المتشددة المناهضة للولايات المتحدة مع الاحتياجات المتنافسة لتهدئة التوترات بين الولايات المتحدة وإيران، وتلبية مطالب قاعدتها في علاقة بمناهضة الولايات المتحدة، وتطوير أجنحة سياسية واجتماعية غير حركية في نفس الوقت".

بالإضافة إلى ذلك، كما هو الحال في لبنان، واجهت القوة الناعمة الإيرانية في العراق تحديا من خلال المعارضة الشعبية العراقية المتزايدة للطائفية والميليشيات الشيعية التي تدعمها إيران والتي تسيطر عليها الدولة اسميا فقط.

والأسوأ من ذلك أنه تم تحديد الميليشيات، بما في ذلك حزب الله، الجماعة المسلحة الأولى في العالم العربي المدعومة من إيران، مع النخب الفاسدة في لبنان والعراق. ويعارض الكثيرون في لبنان حزب الله باعتباره جزءا من النخبة التي سمحت للدولة اللبنانية بالانهيار لحماية مصالحها الخاصة.

> طهران قلقة من أن منتقديها يحاصرونها، ويؤثر ذلك على الطريقة التي تود إيران إبراز نفسها بها

ولم يفعل حزب الله الكثير لمواجهة هذه التصورات عندما هدد زعيم الجماعة حسن نصرالله المسيحيين اللبنانيين بعد اندلاع القتال هذا الشهر بين الميليشيا والقوات اللبنانية، وهي حزب ماروني، على طول الخط الأخضر الذي فصل الشرق المسيحي عن بيروت الغربية المسلمة خلال الحرب الأهلية.

وحذر نصرالله من أن "الخطر الأكبر على الوجود المسيحي في لبنان هو حزب القوات اللبنانية ورئيسه"، مما أثار مخاوف من عودة العنف الطائفي.

ويلقي هذا التحذير شبهات على تأكيد إيران على أن إسلامها يحترم حقوق الأقليات بتخصيص مقاعد في برلمان البلاد للأقليات الدينية. ومن هؤلاء اليهود والأرمن والآشوريون والزرادشتيون.

وبالمثل، مُني تحالف الميليشيات الشيعية التي تدعمها إيران بخسارة كبرى في الانتخابات العراقية التي جرت هذا الشهر. وشهد تحالف الفتح، ثاني أكبر كتلة في البرلمان سابقا، تراجع عدد مقاعده من 48 إلى 17 مقعدا.

لكن إيران تعتبر أنها حققت مكسبا بعد أن آلت محاولة نشطاء في الولايات المتحدة خلال شهر سبتمبر للضغط من أجل دفع العراق للاعتراف بإسرائيل إلى نتائج عكسية.

واستهدفت إيران الشهر الماضي منشآت في شمال العراق تديرها جماعات كردية إيرانية معارضة. وتعتقد طهران أنهم جزء من الخناق الأميركي – الإسرائيلي المشدد حولها وتشمل وكلاء وعمليات سرية على حدودها العراقية والأذرية.

وباءت جهود تخفيف حدة التوتر مع أذربيجان بالفشل مع نهاية الحرب الكلامية التي ثبت أن المناورات العسكرية على جانبي الحدود لم تدم طويلا. وبدا الرئيس الأذري إلهام علييف، الذي شجعه الدعم الإسرائيلي والتركي في حرب العام الماضي ضد أرمينيا، غير مستعد للتخفيف من حدة خطابه.

ومع بقاء إحياء البرنامج النووي موضع شك، تخشى إيران من أن تصبح أذربيجان منصة انطلاق للعمليات السرية الأميركية والإسرائيلية. وقد تعززت هذه الشكوك من خلال دعوات الخبراء في مراكز الأبحاث المحافظة في واشنطن إلى دعم الولايات المتحدة لأذربيجان، بما في ذلك عبر تقارير من معهد هدسون ومؤسسة التراث.

وحذّر إلدار محمدوف المستشار السياسي لمجموعة الاشتراكيين والديمقراطيين في لجنة الشؤون الخارجية بالبرلمان الأوروبي من أن "الحكومة الأميركية يجب أن تقاوم دعوات الصقور للتورط في صراع حيث لا توجد مصلحة حيوية لها على المحك، ونيابة عن نظام يتعارض تماما مع القيم والمصالح الأميركية".

هل تكرر واشنطن تجربتها في أفغانستان مع تايوان

واشنطن - أشعلت جزيرة تايوان بوادر صراع محتمل بين القوى الدولية بعد أن ارتفعت مستويات التوتر بين تايبيه المتمتعة بحكم ديمقراطي وبكين التي تكثف الضغوط العسكرية والسياسية لإجبارها على قبول السيادة الصينية، الأمر الذي يرفضه أغلب سكان الجزيرة البالغ عددهم حوالي 23 مليون نسمة.

وتعتبر الصين أن البحر الجنوبي بغالبيته يقع ضمن سيادتها، وتنظر إلى جزيرة تايوان على أنها جزء لا يتجزأ من أراضيها. في المقابل تؤكد رئيسة تايوان تساي إنج ون أن بلادها ملتزمة بالدفاع عن ديمقراطيتها ضد العدوانية المتزايدة للصين، وحذّرت من أن المنطقة سوف تشهد "عواقب كارثية" إذا سقطت تايوان في يد الصين.

وفي حال نشوب مواجهات بين البلدين فلن يخوضاها لوحدهما، حيث أكد الرئيس الأميركي جو بايدن مؤخرا أن الولايات المتحدة ستدافع عن تايوان إذا تعرضت لهجوم من جانب الصين. وأوضح متحدث باسم البيت الأبيض أن أحد التشريعات الأميركية يلزم الولايات المتحدة بمساعدة تايوان في الدفاع عن نفسها.

وتساءل خبراء السياسة الخارجية طوال العامين الماضيين عما إذا كان الوضع في كابول سيشبه حالة الفوضى التي شهدتها مدينة "سايغون" الفيتنامية (المعروفة حاليا باسم "هو تشي منه") في عام 1975.

ويقول الباحث لايل جيه غولدشتاين الأستاذ المشارك في معهد الدراسات البحرية الصينية بكلية الحرب البحرية الأميركية في تقرير نشرته مجلة "ناشونال إنتريست" إن مثل هذه التساؤلات المتعلقة بالحرب التي أودت بحياة الآلاف من الأميركيين تبدو مبررة تماما، كما يمكن من خلال تطبيق الدروس المستفادة مما حدث في كل من فيتنام وأفغانستان إثبات أنها مجدية عند النظر في احتمالية تدخل الولايات المتحدة عسكريا للدفاع عن تايوان في مواجهة الصين.

ويوضح أن أسباب الفشل في كل من فيتنام وأفغانستان تعد واحدة في جذورها بشكل أساسي، فلقد تورطت الولايات المتحدة في حرب أهلية وانتهى بها الأمر إلى الجانب الخطأ بالنسبة إلى النزعة القومية، التي ثبت أنها تمثل قوة من المستحيل ترويضها، على الرغم من حجم التكنولوجيا العالية المعروف بها الجيش الأميركي. وقد كان لحركة طالبان و"الجبهة الوطنية لتحرير جنوب فيتنام" (الفيتكونغ) أيديولوجيات مختلفة تماما، وشديدة التناقض في بعض النواحي، إلا أن العامل المشترك بينهما كان الرغبة في إبعاد المتطفلين الأجانب.

ويقول الباحث الأكاديمي إن الاستراتيجيين الأميركيين يفكرون حاليا – للأسف – في تعميق المشاركة الأميركية، الواسعة بالفعل، في حرب أهلية أخرى. وكانت صحيفة "ذا وول ستريت جورنال" كشفت في السابع من أكتوبر الجاري أن القوات الأميركية موجودة في تايوان منذ أكثر من عام، بصورة سرية.

وتقوم الطائرات الصينية باستعراضات جوية أكبر وأكثر حول الجزيرة. فقد تم في الرابع من أكتوبر اكتشاف 56 طائرة تابعة لـ"جيش التحرير الشعبي"، تتضمن قاذفات وطائرات هجومية، في منطقة تحديد الهوية للدفاع الجوي، التي تغطي رقعة واسعة من بحر الصين الجنوبي، بما في ذلك مناطق متنازع عليها.

ومع ذلك، فإن الأميركيين ليسوا بمنأى عن اللوم في هذا الموقف، بحسب غولدشتاين الذي يرى أن الجولة الحالية من التوترات الخطيرة تعود في الحقيقة إلى "القرار الأحمق" الذي اتخذه الرئيس السابق دونالد ترامب بتلقي مكالمة هاتفية فور انتخابه في عام 2016 من زعيمة تايوان تساي إنج ون، في تحد صارخ لـ"سياسة الصين الواحدة" التي شكلت أساس العلاقات الأميركية – الصينية منذ عام 1972. كما تم في بكين أخذ إجراءات أخرى بعين الاعتبار مثل إرسال مسؤولين رفيعي المستوى إلى الجزيرة وزيادة مبيعات الأسلحة والانتهاء من مشروع بقيمة 255 مليون دولار لبناء "مجمع جديد للماموث" في تايبيه في عام 2018 يشبه شكل السفارة، وتسيير السفن الحربية عبر مضيق تايوان.

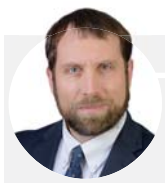

لايل جيه غولدشتاين

على واشنطن التعلم من الحرب في أفغانستان وفيتنام

ويرى غولدشتاين أن القومية ذات الخصائص الصينية هي قوة دافعة في الظروف الحالية، ولكن هل يمكن وصف هذا الوضع بأنه حرب أهلية؟

إنه سؤال معقول بالنظر إلى أن الأوروبيين والأميركيين على حد السواء بدأوا حاليا في الإشارة إلى تايوان بوصفها "دولة". وبغض النظر عن حقيقة أن الاسم الرسمي لجزيرة تايوان المنصوص عليه في دستورها وحتى في جوازات السفر الخاصة بها هو في الواقع جمهورية الصين وليس "جمهورية تايوان"، يمكن للمرء أن يرى العديد من المؤشرات الأخرى التي تعبر عن "القومية".

وقد درس الكثير من علماء الحضارة الصينية من الأميركيين اللغة الصينية في تايوان. وتوجد بالفعل لغة "تايوانية" مختلفة عن لغة الـ"ماندرين". ورغم أنه من الصحيح أن هناك في تايوان بالفعل سكان أصليون ليسوا من الصينيين فهم لا يشكلون سوى أقل بقليل من 2 في المئة من سكان الجزيرة. ولكن هل هذا التاريخ وهذه الثقافة مهمان بالفعل؟ وما علاقتهما بأزمة الولايات المتحدة في أفغانستان؟

يقول غولدشتاين إنه على كل حال تعد تايوان شريكا ثريا للولايات المتحدة منذ فترة طويلة، كما أن لديها مؤهلات ديمقراطية مثيرة للإعجاب، وتقع في منطقة حساسة من الناحية الجيوسياسية بالنسبة إلى الصين. وقد بذل العديد من أصدقاء تايوان في واشنطن جهودا مضنية للإشارة إلى أن تايوان ليست مثل أفغانستان، على عكس التأكيدات الصينية.

تايوان قد تكون الخسارة القادمة لواشنطن